

المباحث المعجمية والدلالية في دراسات المؤرخين والآثاريين

أحمد ضياء صاحب أ.م.د. عدي حسين علي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية
bondtars@gmail.com

ملخص البحث

إنّ العمل المعجمي يُعد من الخطوات الأولى والهامة في المجال اللغوي، إن لم يكن أولها وأهمها؛ ذلك لأنّه يمدنا بما يمكن أن نسميه بـ"الخريطة التفصيلية" لأي لغة وما يعنورها من تطورات وتغيرات في مجال البنية "الصرف" أو المعنى "الدلالة"، أو غيرها؛ ونظرا لهذه الأهمية أولى أرباب اللغات عموما اهتماما فريدا للأعمال المعجمية لأغراض شتى منها ما يتصل بالجانب التعليمي ومنها ما يهتم بجانب حفظ اللغة وصيانتها من الضياع والاندثار، وقد برز جانب آخر وهو الاهتمام بالمعجمات التأسيسية التي يكون غرضها العود بمفردات اللغة إلى الأصول، وهو ما أطلق عليه " المعجمات التاريخية " التي كان للباحثين والآثاريين والمؤرخين السهم المُعلّى فيه نظرا لما تيسر لهم من المادة اللغوية القديمة التي قدّمتها المكتشفات الآثارية والمعرفة الجمة بأحوال اللغات القديمة وبالأخصّ " الشرقية " منها .

Lexical and Semantic Efforts in the Studies of Historians and Archaeologists

Ahmed Diaa Sahib Prof. Dr. Uday Hussein Ali
Al-Mustansiriya University/ Faculty of Education/ Arabic Department

summary

The lexical work considers the first step and the most important in the linguistics domain, since it provides us with what we term as " the detailed map" per- language, in addition the midifications and splaying the language exposed in the structure realm, " purer " or " semantic- significant, or the realm of others: according to this importance, linguistics having unique and profound view to the lexical elaboratings for multiple purposes such as that belong with the educational aspect or perpetuating the language and its existence. However, further concerning has been manifested, that is the genuine lexicals, returning to the authentic synonyms, or what is called " historical lexicals" where's the great contribution has been assigned to the archaeologists and chroniclers in this scope being they have own repertory of an ancient language presented by the archaeological detections, as well as the considerable knowledge in the ancient languages, particularly the eastern language.

توطئة :

في لغتنا العربية كان التأليف في المجال المعجمي قائماً على قدمٍ وساقٍ، طارِقاً أغراض التأليف المختلفة، إلاّ أنّه ظلّ في جانب التأسيس يصيبه بعض النقص والوهن، ليس لنقص بجهاذة العربية الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم التي لاحت عنان السماء نوعاً وكمّاً، ولكن هي مقتضيات الانفتاح والحدائث والتطور الفكري والتكنولوجي التي أتاحتها عصرنا الحالي، فمهدت الطريق للمباحث اللغوية الحديثة التي اضطلع بها من أهل التاريخ والآثار، ولم تكن متوفرة في سالف العصور .
وتجدر الإشارة إلى أنّ تناول المؤرخين والآثاريين للقضايا الدلالية جاءت مبنوثة على شكل إشارات وترابطات في ثنايا القضايا والتأصيلات المعجمية، وأنّها في الغالب جاءت على هيئة تطورات دلالية للفظة معينة وأصلها في هذه اللغة أو تلك، لذلك سيكون عرضنا لهذه المباحث فيه مزاجية تحت عنوان واحد يجمع في طياته الجانب المعجمي والجانب الدلالي .
وسنحاول عرض النزر اليسير للجهود المعجمية المختلفة التي أنتجت لنا أنامل علماء التاريخ والآثار :

أولاً - طه باقر وجهوده المعجمية والدلالية

إن النتائج المعجمية والدلالية الذي جاء به طه باقر يُعدّ نقلة نوعية في العمل المعجمي العربي ؛ لأنه اتخذ طريقاً وعراً قلّ سالكه فحاض شوطاً علمياً في ما يُسمى عندنا بـ" المعرّب أو الدخيل "، وذلك في معجمه المسمى " من تراثنا اللغوي القديم . ما يُسمى في العربية بالدخيل "، هذا المعجم الذي جاء في طياته بكثير من التأصيلات العلمية (المعجمية والدلالية) لمفردات اللغة العربية، وستناول بالبحث بعضاً من الكلمات التي جاءت فيه :

١- كلمة (قانون) :

اتفقت مجموعة كبيرة من المعجمات العربية على عدم أصالة كلمة (قانون) في اللغة العربية، فهي عند الرازي ((القوانين : الأصول، الواحد قانون، وليس بعربي))^(١)، ووافق ابن منظور مع توسع في المعنى: ((القوانين : الأصول، الواحد قانون، وليس بعربي ... وقانون كل شيء : طريقه ومقياسه . قال ابن سيده: وأراها دخيلة))^(٢)، ووافقهم الزبيدي بتحديد في الأصل أكثر ((قيل : رومية ؛ وقيل : فارسية))^(٣).

أمّا طه باقر فقد نفى أن يكون الأصل اليونانيّ " قانون kanon " هو المنبع لهذه الكلمة، فبالرغم من أنّ غالبية الكلمات الأوربية قد اشتقت منها وكذلك الكلمة العربية، التي أصلها اللفظ اليونانيّ " كَنَّا " أو " قنا kanna " والذي يعني " قسبة للقياس " فصار المعنى المجازي المقياس والقاعدة على المطلق، إلّا أنّه أرجعها إلى التراث العراقيّ اللغويّ القديم، من الكلمة البابلية الآشورية " قانو " التي تطلق على القصب بصورة عامة، وعلى مقياس معين أيضاً، أي نفس المعانيّ اليونانية .

ويرادفها في اللغة السومرية الكلمة " كي Gi " والتي تدخل في تركيب كلمات ومصطلحات سومرية عدة، منها " كي - دگ " والتي تعني " القصب الحلو أو قصب السكر "، أو كلمة " كي - كِد، Gi - Gid " والتي تعني " الناي " .^(٤)

٢- لفظة " الصلاة " :

لقد اتفق أغلب علماء العربية على المعنى الأساس للصلاة وهو معنى " الدعاء "^(٥) وأنها من الجذر " ص ل ا "، إلّا أنّهم تفرقوا في إضافة معانٍ جديدة مرافقة للمعنى الأول، فهي عند أبي نصر الفارابيّ (ت ٣٩٣هـ) : (([صلا] الصلاة : الدعاء. قال الأعشى: وقابلها الريح في دَنّها * وصلّى على دَنّها وارتسم))^(٦).

ووافق ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في معنى الدعاء مع زيادة عليه بقوله : ((فأما الصلاة فيقال: إنّها من صليت العود إذا لينته، لأنّ المصلّي يلين ويخشع))^(٧)، وبنفس المعنى مع زيادة عليه قال ابن منظور في لسان العرب ((وأصلها الدعاء في اللغة فسُميت ببعض أجزائها، وقيل أصلها في اللغة التعظيم))^(٨).

وقد وافق طه باقر المعاني الواردة في المعاجم (للمصلاة)، فمعانيها الأساس عنده (الدعاء) و(البركة) و(الاستغفار)، إلّا أنّه اختار كونها من الجذر (ص ل) الذي يؤدي معنى (الميل والانحناء) ثم (الركوع والسجود)، وقد قال بورودها بصيغة (صلوتا) في الكتب العبرانية المتأخرة بالخصوص تلك المدونة باللغة الآرامية، نحو : (الترگوم) و(الجمارا) و(التلمود).

كما أنكر على من يقول بأنّها من الكلمات " المعربة " في اللغة العربية، مؤكداً أنه ليس هناك مبرر لذلك لكون الكلمة واردة في أغلب اللغات "السامية" العربية القديمة، فهي موجودة في الأكديّة " البابلية والآشورية " بصوّة " صلو salu " أو " صليتو salitu " وهي فيها بمعنى الدعاء والاستغفار أيضاً، إلّا أنّها وفقاً لطله باقر لم تُستعمل في الأكديّة بمعنى " السجود والركوع "، وإنّما استعملوا لذلك في البابلية " نيش قاتي nish Q âti " الذي يعني "رفع اليد"، وفي اللغة السومرية استعمل مصطلح " شو - ايلا Shu - ila " الذي يُشير إلى معنى " صلاة دفع اليد " التي تُشاهد في التماثيل المنحوتة .^(٩)

٣- لفظة (العراق) :

جاء في معجم العين ((والعراق: شاطئ البحر على طولِهِ. وبه سُمِّيَ العِراقُ لأنّه على شاطئِ دِجْلَةَ والفُراتِ))^(١٠)، وقد نقل الأزهرى في التهذيب ما طابق الرأي المتقدم مع رأي آخر يقول بتعريبها ((وَقَالَ اللَّيْثُ: العِراقُ: شاطئُ البَحْرِ على طولِهِ، وقيل لبلد العِراق

عراقٍ لِأَنَّهُ على شاطئِ دجلة والفراتِ عِدَاءً حَتَّى يَبْصُلَ بالبِحرِ . وَقَالَ أَبُو عبيد : قَالَ الكَسَائِي والأصمعي : أعرقنا، أي أخذنا في العِراقِ . وَقَالَ بَعْضُهُم : العِراقُ مُعَرَّبٌ، وَأَصْلُهُ إِبْرانَ فَعَرَبْتَهُ العَرَبُ فَقَالَتْ : عِراق . قلت : وَالْقَوْلُ هُوَ الأوَّلُ ...))^(١١) .
وقد ذكر طه باقر وجود ثلاث فرق في أصل لفظ "العراق" وتسميته^(١٢):

الأول - إن تسمية العراق عربية الأصل .

الثاني - أنه معرب عن أصل فارسي .

الثالث - أن مرجعه يعود إلى التراث اللغوي العراقي القديم .

أما القول الأول فقد أوردناه ولم يزد عليه شيئاً، والقول الآخر فقد ذكر أنه أختُفَ في مرجعه في الفارسية فمنهم من أرجعه إلى "إيراه أو إيراك" والذي يعني الساحل أيضاً وقد عَرَبَ إلى "إيراق أو عراق"، وقد ذكر رأياً يشترك فيه الخوارزمي في "مفاتيح العلوم"، وحمزة الأصبهاني في تاريخه يقول بأن اللفظتين "إيران" و"عراق" كلاهما خطأ، والصواب التسمية "إيراك" - بالكاف الفارسية - حيث تُعد هذه اللفظة أصلاً للتسميتين، كما أورد رأياً للباحث الأثاري المستشرق "هرتسفيلد Herzfeld" الذي يقول بأن لفظ (عراق) معرب من (إيراك) الفارسية، والتي تعني في اللغة الفارسية (البلاد) أو (الأرض السفلى)^(١٣).

وأما الرأي الثالث فقد جعله طه باقر عنده جدير بالاعتبار بالرغم من عدم التمكن من الجزم به، وخلصته بأن التسمية تعود إلى أصل سومري بمعنى "المستوطن" وهو الكلمة "أوروك Uruk" أو "أونگك Unug"، وهي الكلمة نفسها التي سُميت بها المدينة السومرية المعروفة "أوروك - الوركاء"، مبيناً أن هذه الكلمة تدخل في تركيب أسماء مدن عدة منها: "أور ولارسا"، غير أن ما يمكن أن نعهه ضعفاً في هذا الرأي أن أهل العراق القدماء لم يطلقوا هذا اللفظ على مطلق القطر، وإنما خصوا به مدناً معينة كالوركاء وغيرها .

وقد نقل طه باقر رأياً للمؤرخ الغربي (أومستيد) يقول فيه إن أول استعمال للفظ (العراق) يعود إلى العهد (الكشي - الكاشي) - بحدود ١٥٠٠ ق. م -، حيث ورد اسم إقليم (إيريقا) في وثيقة من هذا العهد يعود تاريخها إلى (١٢٠٠ ق. م)، وهو ما صار الأصل العربي لتسمية (العراق)^(١٤).

- وقد تعدى مجهوده الوقوف عند الكلمات الغربية والدخيلة، فراح يبحث في أصول بعض الكلمات المقطوع في أصلها وجذرها العربي الخالص نحو كلمة "شعر" التي راح يتساءل عن أصلها هل هو ما معهود ومعروف عند العرب، أو أنها بالمعنى العام من الغناء والإنشاد ونحوهما، ثم بعد ذلك اختص أحد معاني الجذر بهذا الاصطلاح الذي عُرف به .

وقد أيد افتراض كون أصل الكلمة متأثراً من "الغناء والإنشاد"، مستنداً على ذلك بما ورد في اللغات العراقية القديمة نحو الكلمة البابلية "شيرو"، والكلمة السومرية "شير أو سير أو سر Sir"، حيث أن العلامة المسماة التي تشير إلى هذه الكلمة ظهرت في نظام الكتابة المسماة ميكرا في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، والتي تعني بصورة أساسية "الغناء والإنشاد والترنيم"، ويرجح طه باقر أن أصل الكلمة مشتق من الكلمة البابلية "شيرو أو شعرو" وليس من الكلمة السومرية "سير أو شير"، مستنداً في ذلك إلى ورود الكلمة البابلية في كثير من اللغات "السامية"، نحو الكلمات:

"شور" الآرامية، ويرجح أنها فقدت حرف العين الوسطي .

"شير" العبرانية، ومنه المصطلح العبراني "شير هشريم" ويعني "نشيد الإنشاد" الذي يُنسب في التوراة إلى نبي الله سليمان عليه السلام .

ويستشهد في ذلك أيضاً بما نُقِلَ في المصادر العربية عن أصل أوزان الشعر المشتقة من الغناء وحذاء الإبل، وكذلك بما يُقال عند رواية الشعر "أنشد فلان"^(١٥).

ثانياً - جهود الدكتور صلاح رشيد الصالحي

للدكتور صلاح رشيد الصالحي - وهو مؤرخ وأثاري معاصر - اهتمامات في التأصيل الدلالي والمعجمي والتاريخي لكثير من الأعلام العربية وأسماء المدن، يتخذ فيها طريقاً سلساً بالعودة إلى ما هو مشهور فيها وتأصيله ومقارنته مع المصادر الأثرية والتاريخية، للخروج بنتيجة تكون مزيجاً بين الجهد اللغوي والأثري، وسنذكر بعضاً من هذه الكلمات التي تناولها في بحثه:

١ - التأصيل المعجمي التاريخي والدلالي للفظ الجلالة (الله) :

يقول الدكتور صلاح رشيد الصالحي أن لفظ الجلالة " الله " مُشتقّ في اللغة العربية من الإله (إل : إله)، (il-lah، الله)، وأصلها من اللغة السامية القديمة (إل EI)، وهو المقطع الذي يشير فيها إلى العبودية، وقد ورد اسم "الله" على رأس قائمة آلهة مكة قبل الإسلام، مع الإشارة والتأكيد على أنّ دلالة اللفظ قبل الإسلام تختلف جذياً عن دلالاته بعد الإسلام فالدلالة القديمة كانت قائمة على التعدد والوثنية، أما الدلالة الإسلامية ف قائمة على أنه الواحد "غير المرئي"، "خالق الأشياء"، " لا شريك له والذي تجب العبادة له".

والاشتقاق (إل) أو (إيل، EI) نفسه، يدل على إله قديم لدى الكنعانيين سكنة لبنان وفلسطين في القِدَم. (١٦)

ويقاله في العراق القديم الإله (أنو)، بدلالاته وأوصافه (إله السماء، وأبو الآلهة وخالق الكون)، ففي نصوص العراق القديمة تكون دلالة كلمة (إيل) هي (الإله) وتكون سابقة لاسم الإله (أنو) فتكون دلالاته "إله السماء"، فتكون دلالة "إيل أنو" هي "الإله أنو"، ثم بعد ذلك دخل المقطع (إيل) ومنها (جبرائيل) وتعني (الإله الجبار)، و (إسماعيل) التي تكون بالعبرية (إسماعيل) وتعني "الإله يسمع". وقد ورد في نصّ أوغاريتي أسطورة (إيل) بوصفه (خالق وأبو الآلهة)، وفي التوراة أطلق عليه (إلوهيم Elohim) وتعني (الإله)، وأصلها الاشتقاق من (إيل) أيضاً الذي هو إله إبراهيم الذي يُكنّى بـ(أبي الأنبياء). (١٧)

ومما سبق يتضح ارتباط الكلمة (إيل) التي تعني في اللغة العربية (الإله)، أو (أل) الإله أيضاً ارتباطاً دلالياً وتأصيلياً موثقاً بلفظ الجلالة (الله)، وفي العبرية (إلوهيم) والتي تعني (الإله).

٢ - التأصيل التاريخي والمعجمي والدلالي لاسم (بغداد) :

ويستطرد الدكتور صلاح رشيد في تأصيلاته الدلالية والتاريخية والآثرية الهامة لبعض الأسماء ودلالاتها، ومنها تأصيله لاسم (بغداد)، حيث ينقل عن ابن منظور أنّ الفكرة التي كانت موجودة لأصل تسميتها من كلمة فارسية وذلك في قوله : " بغداد : بَعْدَادُ وَبَعْدَادُ وَبَعْدَادُ وَبَعْدِينُ وَبَعْدَانُ وَمَعْدَانُ : كُلُّهَا اسْمُ مَدِينَةِ السَّلَامِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهُ عَطَاءُ صَنْمٍ، لِأَنَّ بَغْ صَنْمٍ، وَدَادَ وَأَخَوَاتُهَا عَطِيَّةٌ، يُذَكَّرُ وَيُؤنثُ، وَأُنشِدَ الْكِسَائِيُّ :

فِيَا لَيْلَةَ، خُرْسُ الدَّجَاجِ، طَوِيلَةٌ ... ببغدان، مَا كَانَتْ عَنِ الصُّبْحِ تَتَجَلَّى " (١٨)، وجاء في تاج العروس : "... وَيَعْضَمُ يَخْتَارُ (بَعْدَانُ) بِالنُّونِ، ...، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ : سَأَلْتُ الْأَصْمَعِيَّ: كَيْفَ يُقَالُ بَعْدَادُ أَوْ بَعْدَانُ أَوْ بَعْدِينُ. وَقَدْ ثَقُلَ الْبَاءُ مِثْمًا فَيُقَالُ (مَعْدَانُ) : فَقَالَ: قُلْ (مَدِينَةُ السَّلَامِ). فَهَذِهِ سَبْعُ لُغَاتٍ الْفَصِيحُ مِنْهَا بَعْدَادُ، بِدَالِينَ، وَبِعْدَانُ، بِالنُّونِ، كَمَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ نَعْلَبُ، ...، قَالَ وَهُوَ اسْمٌ أَعْجَمِيٌّ عَرَبِيَّةُ الْعَرَبِ. وَقَالَ صَاحِبُ الْوَعَايِ: هُوَ اسْمُ صَنْمٍ، فَتَأْوِيلُهَا بُسْتَانُ صَنْمٍ. وَقَالَ الرَّشَاطِيُّ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: لَا يُقَالُ بَعْدَادُ بِالذَّالِ الثَّانِيَةِ مُعْجَمَةً، ... وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ عَنْ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ، يَزْعَمُ أَنَّ تَفْسِيرَهُ بُسْتَانُ رَجُلٍ، فَبَغْ بُسْتَانٍ. وَدَادَ رَجُلٌ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : بَغْ اسْمُ صَنْمٍ لِبَعْضِ الْفُرْسِ كَأَنَّ يَعْْبُدُهُ، وَدَادَ رَجُلٌ" (١٩)، وقريباً إلى هذا الطرح هناك رأي آخر يوافق به دلالة (بغ)، ويخالفه بدلالة (داد) التي - حسب هذا الرأي - تعني (الله) فيصبح معناها (بستان الله)، ثم طرح افتراض آخر في تأصيل اسمها، يعتمد على أنّ معنى (بغ) هو (المعبود أو الصنم)، و(داد) معناها (عطية) فيصبح المعنى " عطية الله " (٢٠)، ثم يعود الدكتور صلاح رشيد بأصول التسمية إلى النصوص المسماوية القديمة التي ورد بها اسم (بغداد) بصيغتين، الأولى هي " بكداه"، والثانية هي " بكدادا" حيث تكون كتابتهما بالمقاطع المسماوية على هيئة " باك - دا - دو" للأولى، و" باك - دادا" للثانية، وهذه الكلمتين تكونان مسبوقتين بكلمة " الو alu" وهي علامة بابلية تدل على المدن، مع امكانية لفظ هذه الكلمة بمقطعها الأول على هيئة " باغ" فتصبح " Alu - Bag - Da - Da / Du"، وقد استمرت دلالة هذا الاسم على هذه المدينة العريقة نفسها منذ عهد الملك " حمورابي ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م" والعصور التي أعقبته حتى العصور الآشورية ما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر قبل الميلاد. (٢١)

ثالثاً - جهود الأب أوغسطين س. مرجي الدومينيكي

وهو من الباحثين التاريخيين في مجالات الآثار والتاريخ والدين واللغات السامية، وله كثيرٌ من التأصيلات المعجمية والدلالية التي عالجها تأريخياً معالجة دقيقة إلى حدٍّ بعيد، تبعاً للثروة اللغوية التي امتلكها فهو يجيدُ من اللغات الشرقية القديمة " السومرية والبابلية والعبرية والحشية والآرامية والسريانية والكلدانية" ومن اللغات الحديثة " الانجليزية والفرنسية" هذا فضلاً عن لغته العربية

التي كان ضليعا بها ^(٢٢)، فكانت بحوثه متنوعة منها ما يتعلق بالأصول في اللغات التي عالجها معجميا وتاريخيا فكان من مناصري الثنائية في الأصول والجذور للكلمات السامية^(٢٣)، وفيما يأتي بعض من المفردات التي عالجها في آثاره :

١- لفظه (بارية) :

هذه اللفظة قال بأصلها الفارسي أغلب أرباب المعاجم اللغوية العربية، نحو ابن دريد الذي يقول : ((والباري فارسي مُعرب، وهو البُورِيَاءُ بِالْفَارِسِيَّةِ))^(٢٤)، وتابعه في ذلك أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)^(٢٥)، وجملة من العلماء القدماء^(٢٦) .

إلا أن الأب مرمجي قد رفض هذا الأصل المُفترَض لها، بقوله : ((إن هذه اللفظة التي تخيل للبعض أنها فارسيّة، لورودها فيها، لها وجود في التلمود البابلي، وفي اللغة الآرامية السريانية، وفي الأكدية (الأشورية - البابلية) ؛ ولها أثر في العبرية، والحبشية والعربية عينا . فمن أي هذه اللغويات قد صدرت ؟))^(٢٧)، معلا ذلك بأنّ الفارسية القديمة والزندية - التي تمثل طورا أحدث من الفارسية القديمة - قليلتا الآثار، والفارسية البهلوية هي التي كانت مستعملة ودارجة بالتوازي مع زمن تدوين المعاجم العربية، وأنّ التلمود البابلي مدون باللسان الآرامية، وبالتالي فإنّ الآرامية كانت هي اللغة الرسمية المنتشرة في عصر السلطنة الفارسية القديمة عينا، وحتى في عهد الدولة البابلية الثانية، مبينا أنّ لفظه " البارية " واردة في اللغة الأكدية القديمة والحديثة وفي التلمود البابلي واللغة الآرامية، كما هي واردة في كل من العربية والفارسية، فالذي يمكن القول به بناء على ماتقدم أنّ الأولى هو أسبقة اللغة الأكدية التاريخية، وأحدثية الفارسية مقارنة معها، وبناء على ما هو معروف من امتهان أبناء الجنوب العراقي لمهنة حياكة القصب على هيئة ما يُعرف بـ " البواري "، هذه المهنة التي يقول عنها الأب مرمجي أنها كانت في الجنوب العراقي حتى في عصور ما قبل التاريخ من خلال النصوص التي تؤكد ذلك، وإلى عصرنا الحالي نجد هذه المهنة بمسمياتها موجودة، ومن العرض التاريخي السابق يستنتج الأب أنّ هذه اللفظة هي "أكدية" بامتياز وإذا أخذنا برأي أهل المعاجم فيمكننا القول أن الفارسية أخذتها عن الأكدية مباشرة أو عن طريق الآرامية نتيجة لأخذها عن طريق " التلمود البابلي "، إلا أنّ رأيه يقول بدخولها مباشرة في العربية عن طريق لغة أهل العراق ؛ لأنّ هذه اللفظة لم تندر في اطلاقا في هذه البلاد نتيجة لوجود القصب على مرّ العصور وإلى يومنا هذا^(٢٨) .

وقد أورد الشواهد اللغوية التاريخية لها من اللغات الواردة فيها، ففي التلمود البابلي جاءت بصيغة " burya "، وفي الآرامية السريانية بصيغة " buryâ "، وفي الفارسية " boryâ "، وفي المعاجم العربية " البوري، البورية، البورِيَاءُ "، أما في لغتها الأصلية " الأكدية " فقد وردت منذ البابلية القديمة الحاوية على علامات الإعراب بصيغة " buru "، نحو ما ورد في أحد الأناشيد البابلية القديمة : Amatsu umma martam kima "buru" ukappar

والتي تعني : " (أوامره) تزيل الأم والبنات كما تُزال (أو تُرفع) " البورو " - أي البارية أو حصير القصب - " .^(٢٩)

٢ - لفظه (بريد) :

يقول الخليل : ((والبريدُ: الرسولُ المُؤد على دَوَابِّ البريد، [وإبراده إرساله]، وقال الزجاج : رأيتُ للموت رَسُولًا مُبْرَدًا ... وقال بعض العرب: الحُمَى بريد الموت))^(٣٠)، وقال بعريته ابن دريد : ((والبريد: عَرَبِيٌّ مَعْرُوفٌ. قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ (طَوِيل) : على كل مقصوص الذنابي معاود ... بريد السرى بِاللَّيْلِ من خيل بريرا))^(٣١) .

ورأي الرازي فيها أنها معربة عن الفارسية : ((الْبَرِيدُ الْبُغْلَةُ الْمُرْتَبَةُ فِي الرَّبَاطِ تَعْرِيبُ بَرِيدِهِ دَمٌ ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ الرَّسُولُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ثُمَّ سُمِّيَتْ بِهِ الْمَسَافَةُ))^(٣٢)، ووافقه ابن منظور ((وأصلها [بَرِيدُهُ دَمٌ] أَي مَحْدُوفُ الذَّنْبِ لِأَنَّ بَغَالَ الْبَرِيدِ كَانَتْ مَحْدُوفَةً الْأَذْنَابِ كَالْعَلَامَةِ لَهَا فَأَعْرَبَتْ وَحُقِّقَتْ))^(٣٣) .

وقد بين الأب أوغسطين أنّ المستشرقين نفوها عن الأصل العربي وعن الفارسي كذلك متفاوتين في كونها من اللاتينية " eredus " التي يُقصد بها " بغل البريد "، أو من الألمانية " pferd "، أو من العبرية " fered " والتي تعني " البغل أيضا "، مُبينا استغرابه من هذه التأويلات في حين أنّ غالبية شعوب العالم القديم قد عرّفت نظام البريد بأشكاله المتنوعة سواء أكان على نظام " الرجال السعاة "، أم كان على الدواب بكافة أشكالها^(٣٤) .

ويعُدُّ الأبُّ أوغسطين ما ورد من آراء عند علماء العربية في لفظة (بريد) وأصلها وعربيتها من عدمها، وغيرهم تضاربا يشوبه التوهم في كثير من الموارد، فيطرح رأيه في أن مادة (ب ر د) أصلها هو الجذر الثنائي السامي (بَر) - حسب النظرية الثنائية التي طرحها - والذي يقابله في الأكديّة وبعض اللغات (فر)، والذي يعطي دلالة (القطع والفصل)، ومن ثم أصبح يدل على (الإبعاد والإسراع).

لذلك فالأقرب إلى الصحة القول بأنها لفظة ثنائية سامية (بر أو فر)، تداولت في الأكديّة ومنها إلى العبرية والعربية والسريانية، ومن اللغات السامية انتقلت إلى اللغات الآرية ك(الفارسية، واليونانية، واللاتينية) ومن اللاتينية دخلت إلى اللغات (الجرمانية والقلطية) وغيرها. (٣٥)

ففي العربية يظهر جلياً أنّ لفظة (بريد) والتي تعني (الرسول) أو (دابة الرسول)، قد اشتقت من الفعل (برد وأبرد) على وزن (فعليل) بمعنى (فاعل) ، وليس العكس أي أنّ الفعل لم يُشتق ارتجالاً من منها نقلاً عن اسم أعجمي معرّب. (٣٦)

رابعاً - الجهود المعجمية والدلالية للدكتور جواد علي

الدكتور جواد علي واحدٌ من أوائل المؤرخين والآثريين العراقيين الذين خلّفوا نتاجاً علمياً جماً أثري شتى مجالات البحث التاريخي والآثري، ولغة وقضاياها النصيب الوافر من هذه المباحث التي طرقها جواد علي في غير واحد من مؤلفاته، ابتداءً من (تاريخ العرب قبل الإسلام)، وليس انتهاءً ب(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، الذي وسّع فيه دائرة البحث والاكتشاف واستدرك ما فاتته في الأول، وسنعرض بعضاً من الألفاظ التي كان له رأيٌ في أصلها اللغوي ودلالاتها والتي خالف فيها علماء العربية في إرجاعها إلى تأصيلاتهم التي كان ينقصها الدليل العلمي - حسب رأيه الذي صرح به - .

١ - لفظة (عرب) ، (العرب) :

يخالف جواد علي أرباب المعاجم من علماء اللغة العربية بقوله : ((إنّ لعلماء العربية آراء في المعنى، تجدها مسطورة في كتب اللغة وفي المعجمات .

ولكنها كلها من نوع البحوث المألوفة المبنية على أقوال وآراء لا تعتمد على نصوص جاهلية ولا على دراسات عميقة مقارنة، وُضِعَت على الحدس والتخمين، وبعد حيرة شديدة في ايجاد تعليل مقبول فقالوا ما قالوه مما هو مذكور في الموارد اللغوية المعروفة، وفي طلبتها المعجمات وكتب الأدب)) . (٣٧)

وقد أشار جواد علي إلى تتبع العلماء المستشرقون وعلماء التوراة المحدثون لتاريخ هذه الكلمة ومدلولها في اللغات السامية، وذلك عبر البحث في الكتابات الجاهلية والآشورية والبابلية واليونانية والرومانية والعبرانية وغيرها، فتبين أنّ أول نص قديم وردت فيه لفظة (عرب) كان نصاً آشورياً يعود إلى حقبة الملك الآشوري " شلمنصر الثالث أو الثاني "، وهي لم تكن تدل عند الآشوريين على ما تدل عليه من معنى "عرب" اليوم، بل كانوا يقصدون بها " البداوة " و" الإمارة أو المشيخة " البدوية التي كانت تحكم في مناطق الصحراء المتاخمة للحدود الآشورية، حيث كان حكمها يتوسع وينحصر تبعاً للظروف السياسية أو لقوة الشخصية الحاكمة فيها، والذي كان يُلقب نفسه بـ" الملك جنديبو أو جندب "، وبما أنّ الكتابة الآشورية خالية من الحركات في داخل المقاطع واجهت العلماء صعوبة في ضبط الكلمة فتولد الاختلاف في كيفية قانتها ونطقها، نحو : " Aribi " أو " Arubu " أو " Aribu " أو " Arub " أو " Arabi " أو " Urbi " أو " Arbi "، إلى غيرها من القراءات .

وقد رجّح أن تكون صيغة " Urbi " من الصيغ قليلة الاستعمال ؛ لأنها حسب ظنه استعملت في مدة زمنية متأخرة، وكان مدلولها بمعنى " أعراب " وهذه الدلالة مطابقة لما يقصد بكلمة " عُرْبِي " أو " أعربي " باللهجة الحالية لأهل العراق وهي على رأي بعض المستشرقين الذين استند لهم جواد علي مقابلة لكلمة " عرب " والتي تعد عندهم من الكلمات المتأخرة زمنياً ايضاً. (٣٨)

وقد وردت في الكتابات البابلية جملة " ماتورابي Matu A-Ra-bi Matu Arabaai " ويقصد بكلمة " ماتو - متو " ارض، فيصبح المعنى "أرض عربي" بمعنى " أرض العرب " أو " بلاد العرب " أو " بلاد الأعراب " وهو التعبير اذي فضله وأيده جواد علي لأنه حسب رأيه قصد بها البادية التي كانت حافلة بالأعراب .

كما جاءت في النصوص الفارسية المدونة باللغة (الأخمينية) في كتابات (بهستون أو بيستون Behistun) لدارا الكبير (داريوس) لفظة (أرياية أو عرباية arabaya)، وكذلك وردت لفظة (M Ar Payah - Arpaya) في نص لإحدى لهجات اللغة العيلامية المسماة بلهجة (أهل السوس Susiana أو Susian).^(٣٩)

و بالمعنى نفسه الدال على البداوة والجفاف والقفر وردت اللفظة في اللغة العبرانية ولغات سامية أخرى للدلالة على ان معناها في هذه اللغات المتقاربة يتحد بمعنى الأعراب المقرون بالبداوة وحياتها، فقد وردت في التوراة في سفر " أشعيا Isiah " : ((ولا يخيم هناك أعرابي))^(٤٠)، وفي سفر "أرميا" : ((في الطرقات جلست لهم كأعرابي في البرية))^(٤١)، فالمراد من هذه اللفظة في الأسفار العبرانية هو الأعرابي ساكن البادية، لا الحضري ساكن المدينة، فالمفهوم العام من هذه اللفظة هو البداوة أو البادية ليس غير.^(٤٢) وقد أكد جواد علي أن ما يؤيد رأيه المتقدم هو وجود لفظة " ها عربية ha ' Arabah " في العبرانية والمراد من معناها "وادي العربية" - وهو الوادي الممتد من البحر الميت الى خليج العقبة - حيث تعني لفظة عربية في العبرانية الجفاف وحافة الصحراء والارض المحروقة، وهي بطبيعة الحال معاني ذات صلة بالبداوة والبادية، وقد قرن جواد علي بين اللفظتين ومعناهما بقوله: ((وفي تقارب لفظة (عرب) و(عربية)، وتقارب معناهما، دلالة على الأصل المشترك للفظتين))^(٤٣).

كما أشار إلى أن ذكر العرب ورد عند اليونان عند المؤرخ اليوناني " أسكيلوس، أسخيلوس، أشيلس، أخيلوس، Aeschylus " (٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م)، وكانت لفظة " عربية - Arabae " عندهم وعند الرومان بمعنى " بلاد العرب" التي شملت جزيرة العرب وبادية الشام واستنادا لاعتقادهم ان البداوة هي الغالبة على هذه الاراضي، كان سكانها - حسب تصورهم - هم عربا على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم .^(٤٤)

كما ذكر وجود كلمة "عرب" في مجموعة من كتابات الحضرة نحو (ويجندا دعراب) ومعناها "ويجنود العرب"، " ويحضر وعرب " ومعناها " بالحضر العرب "، حيث كانت في هذه النصوص وغيرها بمعنى " أعراب "، فلم ترد علما على قوم أو جنس معين.^(٤٥) وقد نفى ورود لفظة (عرب) في ما يُسمى (كتابات عربية شمالية) إلا في نص واحد يعود لامرئ القيس بن عمرو، بقوله: "مر القيس بر عمو، ملك العرب كله"، أما الجنوبية منها فرأى جواد علي أنهم عرفوا لفظة (أعراب) أيضا بالمعاني السابقة عينها، غير أنه قال بأنهم لم يعرفوا المعنى العام للكلمة - العلمية على الجنس العام - إلا بدخولهم الإسلام ووقوفهم على القرآن، وتكلمهم بلغته وتمييزهم للتفريق الوارد في القرآن الكريم بين لفظة " العرب "، كقوله تعالى : ((وكذلك أنزلناه حُكْمًا عَرَبِيًّا))^(٤٦)، ولفظة " أعراب " بقوله تعالى : ((الأعرابُ أشدُّ كُفْرًا ونِفَاقًا وأَجْدُرُ ألا يَعْلَمُوا حُدُودَ اللَّهِ))^(٤٧).

ويخلص رأيه إلى أن هذه اللفظة لم تكن تُعرَف في كل اللغات السامية وغيرها إلا بمعاني " البداوة "، ومن ثم تحددت دلالتها عند الأعاجم عند تنامي معرفتهم بأحوال العرب وقبائلهم لتشمل أغلب أرض العرب وسكانها .

ولم يذكر جواد علي شيئاً عن بداية لتحديد دلالي بين اللفظتين عند العرب أنفسهم كقومية أو كوحدة لسانية كبيرة، سوى اعتراضه على العالم الغربي " د. هـ. ملر" الذي قال بأن القرآن الكريم هو الذي حدّد الفرق بين اللفظتين وأنه أول من أطلق تحديدا للفظ " العرب " كعلم عليهم جميعا من بدو وحضر، مؤكداً بأنه من غير الممكن أن يكون الخطاب في القرآن الكريم للعرب بما لم يعرفوه من قبل .

ونحن نُسجّل استفهامنا على استعراضه التاريخي للفظّة دون الانتباه إلى ما يُمكن أن نعدّه فاصلا محدّدا للدالّتين عند أهل القضية أنفسهم، فمن غير المعقول أن تكون القضية معلّقة دونما تحديد، مع ما ورد من أخبار وأشعار فيها تفصيلات لبطون العرب وصلاتهم النسبية والقومية التي كانوا يتفاخرون بها في أزمان سبقت ظهور الإسلام بكثير، وهذا يدل على تحديد دقيق في مدلول اللفظة كعلمًا لما يمكن أن تُسمّى العرق العربي، من هذه الأشعار قول طرفة بن العبد :

وتفرعنا من ابني وائل
هامة المجد وخرطوم الكرم
من بني بكر إذا ما نُسبوا
وبني تغلب ضربا بي الهمم^(٤٨)

مع هذا إننا نجده يعترف بتوحد مدلول اللفظة عند المخصوصين بها فيقول : ((ونحن إذ نُطلق لفظة " عرب " و" العرب " على سكان البلاد العربية، فإنما نطلقها اطلاقا عاما على البدو والحضر، لا نفرّق بين الطائفتين، ... نُطلقها بمعنى جنسية وقومية

وعلم على رس له خصائص وسمات وعلامات وتفكير يربط الحاضرين بالماضين كما يربط الماضي بالحاضر، واللفظة بهذا المعنى وبهذا الشكل، مصطلح يرجع إلى ما قبل الإسلام، ولكنه لا يرتقي إلى ما قبل الميلاد، بل لا يرتقي عن الإسلام إلى عهد جد بعيد ((^{٤٩}).

٢ - لفظة (أمي)

"الأمي في اللغة: المنسوب إلى ما عليه جبلت الناس لا يكتب" (^{٥٠})، و"وفي التنزيل العزيز: ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانياً،... فهو في أنه لا يكتب أمياً، لأن الكتابة هي مكتسبة فكانه نُسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه،... وفي الحديث: إنا أممة أمية لا نكتب ولا نحسب؛ أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب، فهم على جبلتهم الأولى،... ومنه قوله: بعث في الأميين رسولا منهم" (^{٥١}).

يتمثل رأي الدكتور جواد علي في مخالفة ما جاء في المعاجم العربية من معانٍ لهذه اللفظة، فهو يرى أن لفظة "أمي أو أمية" لم تكن بمعنى عدم المقدرة على القراءة والكتابة والجهل بهما في الزمن السابق للإسلام، بل هي عندهم بمعنى الشرك والوثنية، ويقول بأن هذا المعنى وارد في القرآن الكريم أيضاً، حيث كان النعت موجهاً للرسول (صلى الله عليه وآله)، لأنه من العرب؛ باعتبارهم أقوام معروفين من قبل اليهود وغيرهم بأنهم ليس لهم كتاب، - علاوة على شهرتهم بالشرك وعبادة الأصنام -، أما ما عُرفت به هذه اللفظة من الجهل بالقراءة والكتابة، فمرجعه إلى العصر الإسلامي حيث فسّر معنى لفظة "الكتاب" ظاهرياً بـ"الكتابة"، مؤكداً أن تفسيرها بهذا المعنى لا يتناسب مع السياق العام، وأن هذا التفسير لم يكن معروفاً عند "عرب الجاهلية"، ودليله على ذلك أنهم حين قالوا بهذا المعنى صاوا في حيرة ظاهر في تخريجهم للتفسير، فنجدهم قالوا بأنها على "الجبل والفترة" أو "أصل ولادة الأمهات" وهي تفاسير وصفها "بالباردة والمضطربة"، تُدلّ على أن علماء اللغة لم يجدوا لها وجوداً وأصلاً بهذا المعنى عند أهل الجاهلية، إلا لكانوا استشدهوا بأبياتهم الشعرية أو آثارهم وهي عادة جرى عليها أرباب اللغة في استشاداتهم وبالخصوص في الكلمات التي فيها غابة أو لبس أو تعدد معنى وهو دليل على أنهم اقترضوها من أهل الكتاب الذين خالطوهم (^{٥٢}).

ويشير إلى اعتقاده بأن أول من أطلق لفظة الأميين بهذا المعنى هم اليهود، فيقول: ((وعندي أن يهود يثرب هم الذين أطلقوا لفظة (الأميين) على العرب المشركين، على عادتهم حتى هذا اليوم في نعت الغرباء عنهم بألفاظ خاصة مثل (كوييم)*، لتمييزهم عن أنفسهم، باعتبارهم (شعل الله المختار) المؤمن بإله إسرائيل)). (^{٥٣}).

ويؤكد أن لا وجود في اللغات القديمة للفظة تدل على معنى "الأمية" الذي عُرف بها من الجهل بالقراءة والكتابة، فليس هنالك إلا استعمال "لا يقرأ" أو "لا يكتب"، أو استعمال "يجهل المنطوق" القراءة والكتابة"، فهل يُعقل أن تشدّد اللغة العربية عن هذه القاعدة التي سارت بها كل أخواتها، وقد بين أنه لم يعثر على هذه اللفظة أو أي لفظة بمعناها في النصوص العربية في العصر الجاهلي عموماً. (^{٥٤})

خامساً - الجهود المعجمية والدلالية للدكتور عامر الجميلي

للدكتور عامر الجميلي - وهو أستاذ الآثار في جامعة الموصل - جهود في مجالات العمل اللغوي وتأصيلات الألفاظ ودلالاتها، وفيما يأتي بعض من الألفاظ التي تناولها في أبحاثه:

١ - لفظة (فلوجة)

يرى أن أصلها هو الفعل "فلج"، والذي ورد في اللغة الأكدية بصورة "Palgu" بلك، وقد طبق عليه الإبدالات بين الحروف الأكدية ومقابلتها العربية، نحو:

"ب" الباء الأكدية المهموس	يُبدل إلى	"ف" العربي القاسي
"ك" الجيم الكافية اليمنية والقاهرية	يُبدل إلى	"ج" العربي (°)

وقد أورد الخليل هذا الأصل بقوله: "فلج: الفلج: الماء الجاري من العين ونحوه، وعين فلج، وماء فلج". (^{٥٦})

فبذلك يكون الفعل مطابقاً في الصيغة والمعنى بين اللغة الأكدية واللغة العربية، ويكون سامياً بامتياز، ومنه أُشتقَّ اسم المدينة " الفلوجة"، والتي وردت في المصادر الأكدية بصورة " بَلُكْتُ Pallukkatu"، والتي تعني الأرض المستصلحة للزراعة، فيظهر جلياً خطأ من ذهب إلى أن أصل الفعل (فلج) فارسي، وأنه معرَّب (برگة) على أن دلالتها في الفارسية "مزرعة أو حرث أو أرض يُزرعُ فيها قمح أو فواكه وغيرها، وخطؤه مردّه إلى قدم ورودها في النصوص الأكدية إلى قرابة الألف الثالث قبل الميلاد، وقد وردت أيضاً في نصوص العصرين الآشوري والبابلي الحديثين بصورة "بَلُوكت Pallukat"، بمعنى "الأرض المستصلحة أو المعدّة للزراعة" (٥٧). وهذا المعنى ذاته واردٌ في معاجم اللغة العربية فهو عند ابن فارس: " والفلوجة : الأرض الممكنة للزرع والجمع فللاج " (٥٨).

٢ - لفظة (عُرْف)

وردت هذه اللفظة عند أرباب المعاجم بمعنى (عُرْف الفرس)، يقول الخليل في لفظة (عرف): " والعُرْف: عُرْفُ الفَرَس " (٥٩). للدكتور عامر الجميلي رأي لطيف في تخريج مدلول لفظة " عُرْفَا " في الآية القرآنية " وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا " (٦٠)، حيث ورد هذا الفعل في اللغة الأكدية بصورة " اُرَبْتُ urpatu " أو " اربتُ erpetu"، فيقترح إبدال الحرفين " u / e " بحرف (العين) لأن الأكدية - كما أشرنا سابقاً - تستعملها للتعبير عن الحروف الحلقية والعين منها، والإبدال الآخر الذي اقترحه هو إبدال (الباء الأكدية) بـ (الفاء العربي)، والتاء الآخريّة وظبفتها التأنيث فيصبح اللفظ الأكدية قريباً من اللفظ العربي، ومعناه " السحابة أو الغيمة"، وهو المعنى المراد في الآية لا كما ذهب إليه كثير من المفسرين من أن المقصود منه هو "عُرْف الفرس"، فمعنى الرياح تُرسلُ غمامة أو غيمة أوقع للصواب وأقرب من إرسال رياح كعرف الفرس، وقد ذكر أن هذه الكلمة في أغلب اللغات " السامية " مدلولها " الضباب والغيمة " (٦١).

سادساً - الجهود الدلالية والمعجمية للدكتور سليمان عبد الرحمن الذيب

الدكتور سليمان الذيب أستاذ تاريخ الشرق الأدنى القديم، والكتابات العربية القديمة، له مباحث لغوية هامة في شتى الفروع اللغوية، منها معجمه المسمى (معجم المفردات الآرامية القديمة) الذي ضمّ المفردات الآرامية القديمة التي تعود إلى ما بين القرن العاشر والقرن السادس قبل الميلاد، والنقوش التي جاءت مكتوبة على الأحجار، وقد رتب الألفاظ في معجمه ترتيباً هجائياً سامياً (أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، السامخ، ع/غ، ف، ص، ق، ر، س/ش، ت/ث) . وقد عمّد إلى إعطاء المعنى العربي للفظة مع بيان المترادفات إن وُجدت، كما عمل على تأصيل المفردات ومدلولها في اللغات القديمة ولهجاتها الواردة فيها، متخذاً أسلوب الربط والموازنة فيما بينها .

وفيما يأتي بعض المفردات التي عالجه في معجمه :

أولاً - لفظة (أ ب د) : يقول ابن فارس في مادة (أبد): " وَمِنْهُ قِيلَ لِلدَّارِ إِذَا خَلَا مِنْهَا أَهْلُهَا حَلَفْتُهُمُ الوَحْشُ بِهَا: قَدْ تَأَبَّدَتْ " (٦٢)، ويقول في موضع آخر في تبيان أدل على المعنى: " فِي قَوْلِ العَرَبِ: ((أَبَادَ اللهُ حَضْرَاءَهُمْ))، قَالَ الأَصْمَعِيُّ: مَعْنَاهُ: أَذْهَبَ اللهُ نَعِيمَهُمْ وَخِصْبَهُمْ " (٦٣).

ويقول الأزهرى فيها: " (أَبَدَ) أَلْهَمَزَةُ وَالْبَاءُ وَالذَّالُ يَدُلُّ بِنَاوِهَا عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَعَلَى التَّوَحُّشِ " (٦٤)، وقال عنها ابن سيده: " وقولهم تَأَبَّدَ الْمَنْزِلُ أَي رَعَتْهُ الأَوَابِدُ، وَقِيلَ أَفْقَرَ وَأَتَى عَلَيْهِ الأَبْدُ " (٦٥).

يقول الدكتور سليمان الذيب عن هذا الجذر أنه ورد في اللغة الأكدية بصورة (abātu) وبمعنى (الخراب والدمار)، وجاء بصيغة (أ ب د) وبالمعنى ذاته في (اللغات الأوجاريتية والفينيقية والمؤابية والآرامية الدولية والآرامية الفلسطينية المسيحية)، كما ورد بمعنى (الهلاك والفناء والضياع) في (عبرية العهد القديم) و(اللغة السريانية)، كما جاءت في أحد النقوش اللحيانية باحتمالية احتفاظها بالمعنى نفسه الوارد آنفاً (٦٦)، وقد نقل الدكتور الذيب عن فاروق اسماعيل رأيه الذي ربط فيه المعنى الذي جاءت عليه اللفظة في اللغات القديمة المذكورة وبين ما جاء في معناها في اللغة العربية عند أرباب المعاجم والذي ذكرناه أيضاً (٦٧).

ثانياً - لفظة (ي ل ل) : وردت هذه اللفظة في اللغات التي تُسمى بـ (السامية) بمعنيين مركزيين تدور في رحاهما بين لغة وأخرى، وقد تختلف في صيغتها أو في تغيير بسيط في دلالتها لا يخرجها عن دائرة المعنى العام الذي تدور فيه في هذه اللغات،

فهي في اللغة الفينيقية بصيغة (ي ل ل) وبمعنى (التبجح)، وجاءت في اللغة الأوجاريتية بصيغة (ه ل ل) وبمعنى (الصياح والصراخ)، ووردت في الآرامية الدولية بصيغة (ه ي ل ل) وبمعنى (النذب والنوح) أيضاً، وفي الآرامية الفلسطينية بصيغة (ي ل ل) وبمعنى (النوح والبكاء والعيول)^(٦٨)، وهو معنى مقارب لمادة (ولول) في اللغة العربية والتي يقول فيها ابن منظور: "وَلَوْلَ: الوُلُولُ: البلبالُ. ووُلُولَتِ المرأةُ: دَعَتْ بالوَلِيلِ وأَعُولَتْ ... " (٦٩)، وهي بالمعنى ذاته في القاموس المحيط " الوُلُولُ: البلبالُ، والدُّعاءُ بالوَلِيلِ، والهَامُ الذَّكْرُ. ووُلُولَتِ القَوْسُ: صَوَّتَتْ، والمرأةُ وُلُولَةٌ ووُلُولاً: أَعُولَتْ ... " (٧٠).

أما الوجه الآخر للفظه فجاء بصيغة (ه و ل ل) في اللغة السريانية، وبمعنى (التسبيح والمدح)، وبالمعنى نفسه جاءت اللفظة في عبرية العهد القديم وبصيغة (ه ل و ل)، وهو على الأرجح مشتق من الجذر (ه ل ل) الوارد في عبرية العهد القديم والسريانية^(٧١). وقد جاء الخليل بشرح غاية في الدقة والأهمية في شرح هذه المادة في اللغة العربية، يقرئها بصورة كبيرة مما ورد في اللغات السابق ذكرها، فيقول: " والتَّهْلِيلُ: قول لا إله إلا الله. والاستهلالُ: الصَّوتُ. وكلُّ مُتَهَلِّلٍ رافع الصوت أو خافضه فهو مُهَلِّ ومُسْتَهَلِّ. وأنشد: «٥»

وَأَلْفَيْتُ الخِصْمَ فهم لديه ... مُبْرِشِمَةٌ أَهَلُّوا يَنْظُرُونَا " (٧٢)

فالمعنى الأول الذي ذكره الخليل (التهليل) مطابق في وجه من أوجهه لما ورد في عبرية العهد القديم والسريانية من التسبيح والمدح والثناء - وهو مخصص في العربية لله عز وجل -، والمعنى الآخر المتمثل برفع الصوت مطابق لما أوردنا في باقي اللغات القديمة .

وقريب لهذه المعاني ما أورده (ابن القطاع الصقلي) في (كتاب الأفعال) من معاني الجذر (ه ل ل) بقوله: " أَهَلَّ الرَّجُلُ ... رفع صوته عند نعمة أو رؤية شيء يعجبه، وحرّم ما " أَهَلَّ " لغير الله به ما سُمِّي عند ذبحه " (٧٣) وقد قال الرازي بالمعاني السابقة مع تفرده بجعل أصل المعنى فيها هو (رفع الصوت)، بقوله: " و(اسْتَهَلَّ) الصَّبِيُّ صَاحَ عِنْدَ الوِلَادَةِ . و(أَهَلَّ) الْمُعْتَمِرُ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ . وَأَهَلَّ بِالتَّسْمِيَةِ عَلَى الذَّبِيحَةِ . وَقَوْلُهُ - تَعَالَى: {وَمَا أَهَلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} [البقرة: ١٧٣] أَي نُودِيَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اسْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَأَصْلُهُ رَفَعَ الصَّوْتِ " (٧٤).

الخاتمة والنتائج :

بعد الرحلة اليسيرة التي خاضها الباحث في المباحث اللغوية عند المؤرخين والآثاريين، ونقّص الجهد الدلالية والمعجمية، خلص البحث إلى النتائج الآتية :

١- اتضح من خلال البحث أنّ المباحث الدلالية تشكّل عماداً كبيراً في المباحث اللغوية في دراسات المؤرخين والآثاريين، فقد أوردوا كثيراً من المؤلفات والبحوث في مجال التطورات الدلالية للألفاظ، وعادة ما يكون هذا الجهد الدلالي مقروناً بالجانب المعجمي كالذي جاء به (سليمان الذبيبي) و(طه باقر) .

٢- خالف كثير من الباحثين المؤرخين والآثاريين علماء اللغة العربية في إرجاع بعض الكلمات إلى أصولها في اللغات الأخرى، معتمدين على ما تيسر لهم من الاكتشافات الأثرية الحديثة، وفي جانب مهم من حياة اللغة العربية الذي أسماه رعاة العربية بـ(الدخيل) .

٣- كانت للمؤرخين والآثاريين جهود طيبة في مجال التأسيسات والتطورات اللغوية واللهجية التي ممكن أن تُطلق عليها (المكانية)، كالذي عمل عليه الأب (مرمجي) و(طه باقر)، وغيرهم ممن عملوا على اللغات العراقية والتناقل اللفظي والدلالي فيما بينها على مرّ العصور .

٤- كان البحث المعجمي والدلالي لدى المؤرخين والآثاريين معتمداً على جانب البحث العلمي الموضوعي الذي فرضته مقتضيات التطور العلمي والبحثي في العصر الحديث ؛ لذا اتصفت مباحثهم بالدقة والتخصّص في أغلب مفاصلها .

الهوامش

- ¹ مختار الصحاح، الرازي، مادة (ق ن ن)، ج ١ / ص ٢٦١ .
- ^٢ لسان العرب، ابن منظور، فصل القاف، ج ١٣ / ص ٣٤٩ .
- ^٣ تاج العروس، الزبيدي، مادة (ق ن ن) ج ٣٦ / ص ٢٠ .
- ^٤ يُنظر من تراثنا اللغوي القديم ...، ص ١٤١ - ١٤٢ .
- ^٥ يُنظر : (مختار الصحاح) للرازي، مادة (ص ل ا)، ج ١ / ص ١٧٨ . ويُنظر : (المخصص) لابن سيده، ج ٤ / ص ٥٦ .
- ^٦ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر الفارابي، باب (ص لا)، ج ٦ / ص ٢٤٠٢ .
- ^٧ مجمل اللغة لابن فارس، باب الصاد واللام وما يتلثهما، ج ١ / ص ٥٣٨ .
- ^٨ لسان العرب، فصل الصاد المهملة، ج ١٤ / ص ٤٦٦ .
- ^٩ يُنظر : من تراثنا اللغوي القديم ...، ص ١٣٤ .
- ^{١٠} العين للخليل، باب " العين والقاف والراء ... "، ج ١ / ص ١٥٣ .
- ^{١١} تهذيب اللغة للأزهري، باب " العين والقاف والراء "، ج ١ / ص ١٤٩ .
- ^{١٢} يُنظر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١ / ٢٠ - ٢١ . ويُنظر : من تراثنا اللغوي القديم، ١٩٢ - ١٩٣ .
- ^{١٣} يُنظر : مجلة " لغة العرب "، المجلد الرابع، ص ٤٤١ .
- ^{١٤} يُنظر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١ / ص ٢٠ - ٢١ . ويُنظر : من تراثنا اللغوي القديم ...، ص ١٩٢ - ١٩٤ .
- ^{١٥} يُنظر : من تراثنا اللغوي القديم ...، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
- ^{١٦} يُنظر : اسم الله قديماً وفي الديانات السماوية، د. صلاح رشيد، ص : ١ .
- ^{١٧} يُنظر : اسم الله قديماً وفي الديانات السماوية، د. صلاح رشيد، ص : ١ - ٣ .
- ^{١٨} لسان العرب، ج ٣ / ص : ٩٣ - ٩٤ .
- ^{١٩} تاج العروس ...، باب (بغدد)، ج ٧ / ٤٤٠ - ٤٤١ .
- ^{٢٠} يُنظر : التاريخ الإسلامي العام، علي إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة / الطبعة الثالثة - ١٩٦٣ م، ص : ٣٥٢ - ٣٥٣ .
- ^{٢١} يُنظر : الجذور التاريخية لاسم بغداد ...، بحث في مجلة التراث العلمي العربي، ص : ٥٧ - ٨٦ .
- ^{٢٢} يُنظر : مؤلفات الأب أوغسطين س . مرمجي الدومينيكي ...، ص : ١٣ .
- ^{٢٣} يُنظر : المعجمية العربية على ضوء التثنية والألسنية السامية، الأب أنستانس مرمجي .
- ^{٢٤} جمهرة اللغة، (باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة)، ٣ / ١٣٢٢ .
- ^{٢٥} يُنظر : التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ١٦٢ .
- ^{٢٦} يُنظر : الصحاح للجوهري، ٥٩٨/٢، لسان العرب لابن منظور ٨٧/٤، تاج العروس للزبيدي، ١٣٥/٩ .
- ^{٢٧} يُنظر : المعجمية العربية على ضوء التثنية والألسنية السامية، ص : ١٠ .
- ^{٢٨} يُنظر : المعجمية العربية على ضوء التثنية والألسنية السامية، ص : ١٥ .
- ^{٢٩} يُنظر : المعجمية العربية على ضوء التثنية والألسنية السامية، ص : ١٥ - ١٦ .
- ^{٣٠} العين، باب الدال والراء والباء، ج ٨ / ص : ٢٩ .
- ^{٣١} جمهرة اللغة، مادة (بدر)، ج ١ / ص : ٢٩٥ .
- ^{٣٢} مختار الصحاح، مادة (برد)، ج ١ / ص : ٣٢ .
- ^{٣٣} لسان العرب، فصل الباء الموحدة، ج ٣ / ص : ٨٣ .
- ^{٣٤} يُنظر : مؤلفات الأب أوغسطين مرمجي ...، ص : ٢٤٢ - ٢٤٣ .
- ^{٣٥} يُنظر : معجمات عربيّة - سامية، الأب أوغسطين مرمجي، ص : ٢٨ - ٣٠ . ويُنظر : مؤلفات الأب أوغسطين ...، ص : ٢٤٣ - ٢٤٥ .
- ^{٣٦} يُنظر : معجمات عربيّة - سامية، ص : ٣٢ - ٣٤ .
- ^{٣٧} المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١ / ص : ١٤ .
- ^{٣٨} يُنظر : المفصل ...، ص ١٦ .
- ^{٣٩} يُنظر : المفصل ...، ص ١٧ - ١٨ .
- ^{٤٠} سفر أشعياء، الإصحاح الثالث عشر، آية ٢٠ (ولا يضرب أعرابي فيها خباء)، الترجمة الكاثوليكية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت / ١٩٦٠ م .

- ^{٤٢} يُنظر : المفصل ...، ص ١٨ - ١٩ .
- ^{٤٣} المفصل، ص ١٩ .
- ^{٤٤} يُنظر : المفصل ...، ص ١٩ - ٢١ .
- ^{٤٥} يُنظر : المفصل ...، ص ٢٢ .
- ^{٤٦} سورة الرعد / الآية ٣٧ .
- ^{٤٧} سورة التوبة / الآية ٧ .
- ^{٤٨} ديوان طرفة بن العبد، ص : ١٣٤ .
- ^{٤٩} المُفَصَّل ...، ص : ج ١ / ص : ١٣ .
- ^{٥٠} مقاييس اللغة لابن فارس، ج ١ / ص : ٢٨ .
- ^{٥١} لسان العرب، (فصل الألف)، ج ١٢ / ص : ٣٤،
- ^{٥٢} يُنظر : المفصل ...، ج ٨ / ص ٨٢ .
- * (كوييم أو غوييم) لفظة أطلقها اليهود على عرب الجزيرة وهي تعني في " اللغة العبرية " الغوغاء أو الجهلة أو عامة الناس من غير اليهود، وهي لفظة قريبة المعنى من المُشاع من لفظة " أمي " .
- ^{٥٣} المفصل ...، ج ٨ / ص ٨٢ .
- ^{٥٤} المفصل ...، ج ٨ / ص ٨٢ .
- ^{٥٥} يُنظر : ألفاظ المياه في اللغتين السومرية والآكدية وما يُناظرها بالعربية ...، ص : ٩ .
- ^{٥٦} العين، (باب الجيم واللام والفاء ...) ج ٦ / ص : ١٢٧ .
- ^{٥٧} يُنظر : ألفاظ المياه في اللغتين السومرية والآكدية وما يُناظرها بالعربية ...، ص : ٩ .
- ^{٥٨} جمهرة اللغة، ج ١ / ص : ٤٨٨ .
- ^{٥٩} العين، ج ٢ / ص : ١٢٢ .
- ^{٦٠} سورة المُرسلات / الآية الأولى .
- ^{٦١} يُنظر : ألفاظ المياه في اللغتين السومرية والآكدية وما يُناظرها بالعربية ...، ص : ٨ .
- ^{٦٢} تهذيب اللغة، باب (الدال والباء)، ١٤ / ١٤٦ .
- ^{٦٣} تهذيب اللغة، باب (خضر) ٧ / ٤٩ .
- ^{٦٤} مقاييس اللغة، مادة (أبد)، ١ / ٣٤ .
- ^{٦٥} المخصّص، أسماء الدهر والأوقات، ٢ / ٤٠٠ .
- ^{٦٦} يُنظر : معجم المفردات الآرامية، ص : ١ - ٢ .
- ^{٦٧} يُنظر : معجم المفردات الآرامية، ص : ٢ . نقلا عن : لغة نقوش الممالك الآرامية ...، فاروق اسماعيل، ص : ١١٧ .
- ^{٦٨} يُنظر : معجم المفردات الآرامية، ص : ١٢٤ .
- ^{٦٩} لسان العرب، (فصل الواو)، ج ١١ / ص : ٧٣٦ .
- ^{٧٠} القاموس المحيط، (فصل الواو)، ج ١ / ص : ١٠٦٩ .
- ^{٧١} يُنظر : معجم المفردات الآرامية، ص : ١٢٤ .
- ^{٧٢} العين، (باب الهاء مع اللام) ج ٣ / ص : ٣٥٣ .
- ^{٧٣} كتاب الأفعال، (باب الثنائي المضعف) ج ٣ / ص : ٣٥٦ .
- ^{٧٤} مُختار الصحاح، مادة (هال) ج ١ / ص : ٣٢٧ .

المراجع

- القرآن الكريم .
- الجذور التاريخية لاسم بغداد (بحث)، د. صلاح رشيد الصالح، مجلة التراث العلمي العربي (مجلة فصلية علمية محكمة تصدر عن مركز إحياء التراث العلمي العربي في جامعة بغداد)، العدد الأول / ٢٠١٤ م .
- ألفاظ المياه في اللغتين السومرية والآكدية وما يُناظرها بالعربية في ضوء اثبات تقارير الأرصاد الفلكية (Astronomical Observations) والقوائم المعجمية (Lexical Texts)، "بحث" للدكتور عامر عبد الله الجميلي .
- (اسم الله قديما وفي الديانات السماوية)، د. صلاح رشيد الخالصي، بحث منشور على قناة مكتبة آريو للتاريخ القديم على برنامج (التليغرام) .
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض المُلقب بـ(مرتضى الزبيدي) (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية .
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق د. عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الثانية / ١٩٩٦ .
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد ابن الأزهرّي الهروي (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى / ٢٠٠١ م .
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١ هـ)، تح : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى / ١٩٨٧ م الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحصين (ت ٣٩٥ هـ)، محمد علي بيضون، الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- العهد القديم، سفر أشعياء، الإصحاح الثالث عشر، الترجمة الكاثوليكية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت / ١٩٦٠ م .
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف : محمد نعيم العرقصوسي، الناشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة / ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم المعروف بابن القطّاع الصقليّ (ت ٥١٥ هـ)، عالم الكتب / الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة / ١٤١٤ هـ .
- لغة نقوش الممالك الآرامية : دراسة مقارنة في ضوء اللغات السامية، فاروق إسماعيل، رسالة ماجستير، جامعة حلب - كلية الآداب والعلوم الإنسانية / ١٩٨٤ م .
- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت ٣٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق : زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ الرازيّ (ت ٦٦٦ هـ)، تحقيق : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرصي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق : خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت / الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

- معجمات (عربية - سامية)، الأب أ. س. مرمجي الدومنيكي، مطبعة المرسلين اللبنانيين - جونية (لبنان) / ١٩٥٠ م .
- معجم المفردات الأرامية القديمة، دراسة مقارنة، د. سليمان بن عبد الرحمن الذيب، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض / ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية، الأب أ. س. مرمجي الدومنيكي، مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس، ١٩٣٧ م .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الثانية / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- مقابيس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة / الجزء الأول، طه باقر، شركة دار الوراق للنشر المحدودة / بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة - ٢٠١٧ م .
- من تراثنا اللغوي القديم ما يُسمّى في العربية بالدخيل، طه باقر، بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع - بغداد / الطبعة الأولى - ٢٠١٠ م .
- مؤلفات الأب أوغسطين س. مرمجي الدومنيكي، خمسون بحثاً ومقالة (دراسات تأصيلية لغوية)، في ضوء الألسنية السامية وأخرى في الدين والتأريخ، جمع ودراسة أ. د. حامد ناصر الظالمي، تموز ديموزي - دمشق (طباعة . نشر . توزيع) - الطبعة الأولى / ٢٠١٨ .
- لغة نقوش الممالك الأرامية : دراسة مقارنة في ضوء اللغات السامية، فاروق إسماعيل، رسالة ماجستير، جامعة حلب - كلية الآداب والعلوم الإنسانية / ١٩٨٤ م .
- " لغة العرب "، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية، الأب أنستانس ماري الكرمل، السنة الثالثة / ١٩١٣م - ١٣٣١ هـ - المجلد الرابع، مطبعة الآداب - بغداد .